الملك جورج الخامس

والتاج البريطاني (١)

[على ذكرى الاحتفال بيده الفضي]

في الاسبوع الثاني من شهر مايو الماضي احتفلت الامبراطورية البريطانية بانقضاء ربع قرن على اعتلاء الملك جورج الخامس اريكة الملك. وقد خلف الملك جورج والده الملك ادوارد السابع عند وفاته في ٦ مايو سنة ١٩١٠ وكانت جدته الملكة فكتوريا من قبلهما قد ارتقت العرش سنة ١٨٣٧ فبين ارتقائها العرش والاحتفال بانقضاء ربع قرن على ملك حفيدها قرن من الزمان تقريباً

***

في خلال هذا القرن انثالت طائفة من اعظم عروش العالم واقدمها ، وحلت الحكومات الجمهورية محل الحكومات الملكية في فرنسا واسبانيا والبرتغال، والحكومات الدكتاتورية في امبراطوريتين عظيمتين هما المانيا وروسيا ، وتفرقت البلدان التي كان يجمعها صولجان آل هبسبرج بعضها عن بعض . ولكن العرش البريطاني اصبح في هذا القرن نفسه اشد رسوخاً مما كان . فالمؤرخ يرى التاج البريطاني ، في سنة ١٩٣٠ ارسى منه في سنة ١٨٣٠ او سنة ١٨٧٥ عندما كان بعض الانكليز وفي مقدمتهم جوزف تشمبرلين — والد السر اوستن تشمبرلين والمستر نفيل تشمبرلين وزير مالية بريطانيا الآن — يسمرّدون جهاراً باسم الجمهوريين . بل ان المرء كان له ان يتساءل في القرن التاسع عشر ، هل يتاح لابن الملكة فكتوريا ان يرتقي العرش ، ولكن فلما نجد الآن احداً من الانكليز يرتاب في ان ابناء الملك جورج الخامس سوف يتمتعون بتراثهم الملكي

فالولاء الملكية في انكلترا ليس مسألة حزبية . والعمال هناك يشاطرون المحافظين هذا الولاء . ويروى ان المستر مكدونلد دعي في سنة ١٩٢٨ الى باريس ليخطب في جماعة من النواب الفرنسيين اكثرهم من الاشتراكيين ، في سياسة حزب العمال ، وكانت وطأة المرض مشتدة على الملك جورج حينئذ ، فلما نهض المستر مكدونلد للمحاضرة قال : « ايها السادة قبل ان ابدأ في معالجة موضوعي ارى من الخير ان نتريث قليلاً ضارعين الى الله ليمنّ بالشفاء على ملكنا ، الذي يصارع الموت الآن »

---

(١) من بحث للكاتب الفرنسي المعروف موروى صاحب المؤلفات النفيسة في شلي وديزرائيلي وبيرون وذكرى

فدهش كثير من الحاضرين ولو انهم كانوا يتهمون الامة الانكليزية بالدهشة . فالحب للاسرة المالكة هناك اقوى واعم بين جمهور الامة منهُ بين الاهالي [1]

وقد تخيّل برنارد شو في احدى رواياته التمثيلية ، بريطانيا وقد انقلبت شيوعية ولكنها مع ذلك ظلت محتفظة بملكها وكان ملكها من احب الناس الى الامة . وهو تخيّل قد لا يكون مستحيلاً

فيجدر بنا ان نبحث عن الصفات الخاصة التي اتصفت بها الملكية البريطانية والحوادث المؤاتية التي مكّنت العرش ووطدت مقامهُ في بريطانيا . ما مقام الملك في نظام الحكم البريطاني ؟ واية خدمات يؤديها ؟ وعلينا ان نجيب عن هذين السؤالين قبل ان نجمل حكم الملك جورج الخامس

ان الحكم الملكي الدستوري ، كمعظم المنشآت البشرية ، لم يجيء نتيجة لتفكير الناس الواعي . فالملك جورج الاول الذي دعي الى العرش من هانوفر كان لا يتكلم الانكليزية فتخلى عن رآسة مجلس الوزراء في القرن الثامن عشر . وكذلك انفصلت السلطة التنفيذية في البلاد الى جانبين ، من دون اي نضال او نزاع . ولما كانت الملكة فكتوريا امرأة ، اصبح لزواجها للعرش نوعاً من الشعور الرومانطيقي . ولما كان زوجها البرنس البرت متصفاً بجميع الفضائل العائلية ، اصبحت الاسرة المالكة في نظر شعب متدين ، موضوع حب مقرون بالحنان . وقد توالى على العرش البريطاني ثلاثة ملوك — فكتوريا وادورد السابع وجورج الخامس — اشتهروا بالحكمة والاعتدال والقدرة على التجرد عن النزعات الحزبية ، فأصبح للملك عمل مقيد لا يستغنى عنهُ . ولو كان في انكلترا في القرن التاسع عشر ملك حاول ان يحكم حكماً مطلقاً لتحولت انكلترا الى جمهورية . ولكن أسرة كوبرج المالكة ، ادركت في بريطانيا والبلجيك ، ادراكاً تاماً سرّ النظام الملكي الدستوري

فما هو هذا النظام ؟ وما القواعد التي يقوم عليها ؟ القاعدة الاساسية هي ان يكون الملك دائماً حكماً محايداً . والقاعدة الثانية ، ان يستلهم الملك بالمقترحات التي يعرضها وزراؤه . وفي ذلك يقول بإجهو : عليهِ أن يوقع الامر باعدامهِ اذا قدّم اليهِ بصدر موافقة المجلسين عليهِ » . وقد كتب المستر اسكوث في مذكرة مشهورة . « على التاج ان يعمل وفقاً لمشورة وزرائهِ الذين يعملون في وقت تقديم المشورة ثقة مجلس النواب وسواء كانت هذه المشورة تتفق مع رأي الملك أو لا تتفق . ان الوزراء يصغون باحترام عميق الى نقد الملك واعتراضه ويخضونهما بعناية عظيمة ، ولكن القرار الاخير يجب ان يبقى لمجلس الوزراء . لان مجلس الوزراء لا التاج ، مسؤول امام البرلمان . وبتطبيق هذه القاعدة تطبيقاً دقيقاً يستطاع ان يحفظ التاج فوق شدائد المعارك السياسية »

---

(١) المنتخب : قرأنا من ايام ان انكلترا من ريبان الاعمال كان يستأجر كل صباح سيارة توصله الى مقر عمله في ذات يوم اذ كانت وطأة المرض شديدة على الملك قال الرجل لسائق السيارة توجّ بنا على قصر بكنغهام لاني اريد ان اقرأ النشرة الطبية الاخيرة لعل ولا ومن الريف الى مقر عمله كانت قيمة اجرة السيارة قد بلغت اربعة شلنات وهي عادة ثلاثة فقال السائق « ثلاثة شلنات يا سيدي فقط » فقال الرجل « لكننا عرجنا عن طريقنا العادي ويجب ان ادفع الفرق » فقال السائق « بيجت المعذرة « أليس هو ملكي كما هو ملكك »

يقابل ذلك انهُ لا يغتفر لوزير ما ان يزجَّ اسم الملك في احدى هذه المعارك . وليس عليهِ فقط أن يمتنع عن التصريح بما قاله الملك حرفيًّا ، وعدم اقحام اسم الملك في الشؤون الحزبية ، بل الواجب على رئيس الوزراء ان يتحمل كل المسؤولية الخاصة بأعمال وزارته ، وان لا يحاول الاحتماء بالعرش

فما هي أعمال الملك؟ يقول بايجهوت انهُ يحتفظ بثلاثة حقوق: أن يشاور، وان يشجع وان يحذر. فلا يمكن أن يعمل شيء في المملكة من دون اطلاع الملك عليهِ ، وملوك انجلترا قد طلبوا — وكانوا على حق في ذلك — بأن يحتفظوا بهذا الحق كاملاً غير منقوص . وبفضل الحقائق التي يطلعهُ عليها وزراؤه، مضافاً اليها الآراء التي يكوّنها بالاستماع الى زعماء المعارضة من دون أن يطلب مشورتهم ، يستطيع الملك في الازمات الخطيرة ان يحكم حكماً منزّهاً بصفتهِ مشاهداً محايداً. ولكنهُ لا يستطيع ان يحول دون شيء تقترحهُ الوزارة ويقرّه البرلمان . فقد يقول الملك لرئيس وزرائهِ ، انك مقبل على خطة خطيرة. واني لاذكر سابقة من هذا القبيل تعيث على الامم . لاريب في انك أنت المسؤول، واذا اصررت على هذه الخطة كان عليّ ان اوقع . ولكنني احذّرك . فانك ترتكب هفوة

هذه الآراء يتقبلها رئيس الوزراء باحترام عظيم من مليكٍ لما لهُ من المكانة والهيبة ولانهُ يكسب بفضل استمراره في منصبهِ ، خبرة أوسع نطاقاً من خبرة أي وزير من وزرائهِ . وقد ضرب السر موريس المورس مثلاً لتفسير عمل الملك هذا بشركة مساهمة فقال : لنفرض ان الامة شركة مساهمة وان مجلس الادارة المهيمن على شؤونها هو البرلمان . فالملك كان أصلاً صاحب الشركة فتنازل عن ملكهِ واسع لاحقّ لهُ في الاقتراع ولكنهُ مع ذلك لا يزال أعلى المستشارين مقاماً . فكل شيء يعمل باسمه

وهنا يبادر الى الذهن السؤال التالي : ما الفائدة من الاحتفاظ بصاحب الشركة الاصلي في مقامهِ الجديد. الفائدة منوّعة لا ريب فيها. فنجاح النظام الملكي الدستوري في بريطانيا والبلجيك قائم على اربع حقائق :

اولاً — أن الجماهير تفضل ان تمنح ولاءها لشخص معين دون نظام عام — فالبرلمان يتناول في الغالب الآراء المجرّدة التي لا يدركها الجمهور . ان النزعة الاميركية الجديدة في الحكم المعروفة باسم « التوزيمة الجديدة » تتمثل للاميركيّ في شخص الرئيس روزفلت ، والفاشستية في شخص موسوليني . وهذا الميل لا يختلف في الشعوب البدائية عنهُ في جماهير الامم المتحضرة . فقد كنت في خلال الحرب ضابط اتصال بين الجيش الانكليزي والفرنسي وكان زعماء الافريقيون في بعض فرق الجيش البريطاني يرفضون أن يجددوا عقودهم الاّ في حضرة الملك . فكان قواد الجيش البريطاني ينتهزون فرصة زيارة الملك جورج للميدان الغربي ويأتون بهؤلاء الزعماء اليهِ

ثانياً — ان الشعب يتتبع بعناية عظيمة اعمال الاسرة المالكة . ومن شأن هذه العناية في بعض الاحيان تقريب حياة الاسرة المالكة الى حياة الشعب الخاصة . فاذا تزوج أحد الامراء ، كانت الخطبة عيداً قوميًّا ، واذا كان الزواج قائماً على الحبّ ، كزواج دوق يورك وزواج دوق كنت ، وكانت العروس جميلة ، استولى على الجماهير نوع من الخبل النفسي

ثالثاً — ان التقاليد التي ترعاها الاسرة المالكة ، وقيود وراثة العرش التي تتقيد بها ، من شأنها ان تسمو بنفوس اعضائها فوق الشهوات الدنيئة كالغيرة والحسد وحب الاذى

رابعاً — اذا عرف اعضاء الاسرة المالكة ان ينهضوا بواجبهم نحو الأمة اصبحت الاسرة مرجعاً لحياة الامة الاجتماعية والادبية . فهي تحافظ على التقاليد المحترمة وتعد أي انقلاب مفاجيء في آداب السلوك . وقد أدّت الاسرة البريطانية المالكة هذه الناحية من عملها على أتم وجه وأوفاه

***

هذا هو عمل الملك الدستوري بوجه عام . ولكن الملك في انكلترا مضطر أحياناً وفي احوال معينة ، ان يشترك اشتراكاً فعّالاً في شؤون الدولة

فالقاعدة ان الملك يختار رئيس وزرائه . ولكن اذا كانت اكثرية مجلس النواب تابعة لحزب واحد فزعيم ذلك الحزب يصبح بطبيعة الحال رئيساً لمجلس الوزراء . وليس للملك ان يتحاماه . وقد حاولت الملكة فكتوريا — وكانت لا تميل كثيراً للغلادستون — ان تفضل بعض اتباعه عليه ، فذهبت محاولتها ادراج الرياح ، لان مفاتحها لهم في هذا الموضوع كانت تفضي الى الناس العشر . وكان غلادستون في كل محاولة من هذا القبيل يطلب في النهاية تأليف الوزارة . فاذا انقسم حزب كبير الى فريقين واصبح زعيم الحزب لا يملك ولاء جميع أعضائه ، فيستطيع الملك ان يرشد زعماء الفريقين الى الطريق الصواب من دون ان يفرض مشيئته عليهم . وهذا ما وقع في سنة ١٩٢٣ لما اضطر المستر بونارلو ان يستقيل من رآسة الوزارة لمرضه . فقد كان اللورد كرزون مقتنعاً أن رئيس الوزارة لا يمكن أن يكون احداً غيره . ولكن المستر بلفور وغيره من زعماء المحافظين بينوا للملك أن طبع اللورد كرزون لا يتلاءم ومقتضيات المنصب وكانت النتيجة ان استدعي المستر بولدوين الى قصر بكنهام فقطع الملك العقدة بسيفه

والقاعدة كذلك ان الملك له حق حلّ مجلس النواب . ولكنه في الواقع لا يستطيع ان يحلّ مجلس النواب من دون ان يشير بذلك رئيس وزرائه . الاّ إنهُ قد تجيء احوال تسبح فيها مسألة حل المجلس مشكلة معقدة . فاذا كان في المجلس ثلاثة احزاب بدلاً من حزبين ، فقد يتفق ان يكون حزب رئيس الوزراء — كحزب مكدونالد الآن — اقلية في المجلس . وقد يشير رئيس الوزراء بحل المجلس في وقت يكون فيه السبيل قد تمهد لائتلاف الحزبين الباقيين والنهوض بشؤون الحكم من دون انتخاب جديد . في هذه الحال تكون كلمة الملك المرجع الاخير

والملك وحده الحق في اصباغ القاب الشرف على العوام . وهذا الحق على ضيق نطاقه ، يمكنه من ان يقترح اسماء او ان يرفض اسماء اخرى مقترحة لهذه الالقاب . ولكن الفائدة الكبرى من هذا الحق هي ان الحكومة تستطيع ان ترجع الى الملك في ممارسته عند ما يرفض مجلس اللوردات الموافقة على مشروعات اقرها مجلس النواب . فقد حدث مرة ان مجلس اللوردات رفض

ان يقر الميزانية فاضطرت الحكومة اتقاءة ان تهدد مجلس اللوردات بتعيين لوردات جدد يكفي عددهم لمنح الحكومة أكثرية في ذلك المجلس . ولكن رئيس الوزراء لا يستطيع ان ينفذ تهديداً من هذا القبيل الاّ اذا وافق الملك عليه . وهذه المشكلة توقف الملك احياناً موقفاً حرجاً ، لانه من ناحية ، رئيس احياز قومه بطبيعة مقامه ، ومن ناحية اخرى يرغب في ان يتصرف تصرفاً دستورياً لا غبار عليه . وسوف نرى في صفحة تالية كيف تصرف الملك جورج الخامس عند ما واجهته حالة من هذا القبيل

ثم ان للملك ، اذا اقتضت الحال ، حقّ مبهم الآن نقلة الاستناد اليه ، ولكنهُ نستعمل في الملمات وهو ان يكون وسيطاً بين الاحزاب السياسية ، اذا بلغ النزاع بينهما مبلغاً من الحدة والعنف يهدد سلامة الدولة . فالملك ادورد السابع ، لم يحجم عن دعوة المستر اسكوث رئيس وزرائه ، والمستر بلفور ولورد لنسدون زعيمي المعارضة ، الى قصر بلمورال لتخفيف صورة النزاع عند ما اشتد بين مجلسي النواب واللوردات

وكذلك نرى ان عمل الملك معقد وذو شأن خطير في آن واحد . فهو رئيس الدولة لا سلطة واسعة له كسلطة رئيس الجمهورية الاميركية الذي يجمع بين رآسة الدولة ورآسة السلطة التنفيذية — اي بين عمل الملك وبين عمل رئيس الوزراء — ولكن سلطة ملك انكلترا اوسع نطاقاً من سلطة رئيس الجمهورية الفرنسية . فهذا لا يستطيع ان يحل البرلمان الاّ بعد موافقة مجلس الشيوخ . ومجلس الشيوخ اذا عارض في امر انفرد النواب فليس لرئيس فرنسا ان يعين شيوخاً تتغلب بهم الحكومة القائمة على معارضة المجلس لها

فاذا اضفت الى سلطة الملك الدستورية هيبته التي تأذن له في التوسط في بعض شؤون السياسة الخارجية وأمور الجيش ، ادركت ان للملك الدستوري في بريطانيا شأناً كبير في تسيير دفة الحكم

فلننظر الآن في حكم الملك جورج الخامس ، محاولين ان نبين كيف مارس الملك هذه الحقوق وكيف نهض بهذه الاعمال في خلال ربع القرن المنصرم

***

كان جورج الخامس الابن الثاني للملك ادورد السابع . فلما توفي شقيقه الاكبر ، دوق اوف كلارنس اصبح وليّ العهد . وكان قد تلقى العلوم التي تعدّهُ للانتظام في السلك البحري ، وقضى معظم حياته قبل وفاة شقيقه بعيداً عن البلاط وقد قلد في فترة ما قيادة سفينة طوربيد ثم قيادة طراد . فلما توفي والده وذهب المستر اسكوث (وكان رئيس الوزراء حينئذٍ) لمقابلته تركت هذه المقابلة اثراً عظيماً في نفسه لما شاهده في الملك الجديد من الفطنة والرأي السليم . ولكن جورج الخامس ورث من عهد والده مشكلة معقدة . ففي ميدان السياسة الخارجية ، كانت المنافسة بين انكلترا والمانيا قائمة على قدم وساق . الآن الملك جورج الخامس لم ينظر الى القيصر على انه عدوٌّ شخصيٌّ

كما كان يفعل والده ، وقتئذ كبر الامل بعد اختلاء الملك جورج العرش ، بان يسوّي هذا النزاع العائلي على احسن وجه . ولكن هذا الامل لم يلبث قليلا حتى تبدد . وأما في سياسة البلاد الداخلية ، فكان النزاع بين مجلسي اللوردات والنواب ، قد بلغ اشده . فحزب الاحرار القابض على زمام الاحكام من سنة ١٩٠٦ كان قد تبع خطة ترمي الى غرضين هما ، فرض قبول الميزانية التي اعدها لويد جورج وتعديل الدستور حتى يجرد مجلس اللوردات من قوة النقض لقرارات مجلس النواب . فبعد نزاع وانتخاب عام وافق مجلس اللوردات على ميزانية لويد جورج . ولم تكن ثمة وسيلة للتغلب عليه فيما يختص بالغرض الثاني ، الا بتهديده بتعيين ٣٠٠ لورد جديد . وكان الملك ادورد السابع قد وعد المستر اسكوث ، انه يوافق على ذلك ، اذا اقتضى الامر ، بعد انتخاب عام آخر لتبين اتجاه الرأي العام

***

فوفاة الملك ادورد ، والمسألة لا تزال معلّقة ، وضعت المستر اسكوث في مأزق ، لا سبيل الى الخروج منهُ الا بلباقة والكياسة . فرأى اولاً انهُ لا يليق ان يطلب الى الملك ان يتخذ قراراً حاسماً في موضوع خطير كهذا في مطلع حكمهِ وخاصة في فترة الحداد . وفي هذا مثل بليغ على ان وجود التاج يفعل بحكم الطبع ، فعل مسكن في حلبة النزاع السياسي ، وينفخ في السياسة شعوراً انسانيًّا قريباً من القلب . ولما كانت المعارضة تشاطر الحكومة هذا الرأي اجتمع مؤتمر خاص من زعماء الفريقين قصد الوصول الى اتفاق ، فكان سبيله الى الاخفاق بعد جدال طويل

فتحتم عند ذلك على رئيس الوزارة ان يعلم هل يعيد الملك جورج وعد أبيهِ ، ويتعهد بتعيين لوردات جدد اذ اصر الانتخاب العام عن عودة الاحرار الى الحكم . والواقع انهُ لم يكن ثمة سبيل الى حلٍّ آخر . فاذا رفض الملك استقالت الوزارة ، وعندئذٍ يستدعي المستر بلفور زعيم المعارضة ويُطلب اليهِ ان يؤلف وزارة فيؤلفها وعند تقدمها لمجلس يحلهما فتضطر الى الاستقالة . وعندئذٍ يحق للملك من الناحية النظرية ، ان يحلّ المجلس لاجراء انتخاب آخر ، ولكن ذلك يزجُّ بالتاج في معارك الانتخابات ويقضي على القاعدة الاساسية التي شيّد عليها النظام الملكي الدستوري . وهذا محال كان المستر اسكوث ملزماً كل العزم على اجتنابهِ ما استطاع الى ذلك سبيلا . فاذا وعده الملك بتعيين اللوردات عند ما تقتضي الحال ذلك ، وخاض هو وحزبهُ الانتخاب مسلّحاً بهذا الوعد السري يبقى مقام الملك محفوظاً من الاذى . قال المستر اسكوث : « فاذا خذلنا في الانتخاب لم تكن ثمة حاجة لتنفيذ وعد الملك فيبقى في طيّ الكتمان . واذا فزنا اكثرية ، اضطرّ اللوردات الى الاذعان ، وكذلك نجتنب ذكر اسم الملك على كل حال »

ومع أن الملك جورج كان قليل الرغبة في اتباع هذه الطريقة ، رأى بعين حكمتهِ ان لا سبيل

آخر للخروج من المأزق . فاتفق على ان يحفظ وعد الملك على الكتمان وان يسعى الوزراء جهد الطاقة الى الحيلولة دون ذكر الملك في معارك الانتخاب . فلما أسفر الانتخاب عن اكثرية للاحرار اصرّ الملك على أن يعلن الوعد الذي قطعه خشية ان لا تفهم المعارضة موقفهُ اذا ظلّ هذا الوعد مكتوماً ثم تسرّب نبأه الى الصحف . وقد اذيع ذلك في كتاب أرسل الى المستر بلفور ولورد لانسدون . فغضبت المعارضة ولكنها لم تجبر عملاً . فتعيين ثلاثمائة لورد جديد يضعف من مقام الارستقراطية البريطانية ، ويقضي على كلّ حال الى اقرار ما رفض مجلس اللوردات اقراره . فرأى المجلس عندئذٍ ان يذعن لمشيئة مجلس النواب واقرّ القانون المطلوب

وخرج الملك من هذا النزال وقد زادت هيبتهُ ومكانته ، لانهُ لم يحد في خلاله قيد شعرة عن عمله وهو ان يكون حكَماً منزهاً عن الغرض الخاص . فقد كان في ناحية الحكومة مستشاراً حكيماً ولكنهُ لم يقف عثرة في سبيلها ، وكان في ناحية المعارضة ، صديقاً ولكنهُ لم يكن حليفاً

***

كان حكم الملك جورج حافلاً بالمشكلات . فما كادت تحل المشكلة الدستورية على الوجه المتقدم ، حتى استفحلت المشكلة الارلندية . ذلك ان المستر اسكوث كان قد اضطر الى التحالف مع النواب الارلنديين الوطنيين في مجلس النواب بغية الفوز بأكثرية كافية ووعدهم بتحقيق آمانيهم فيما يخص «الهوم رول» اي الاستقلال الذاتي ، وهو يكاد يكون استقلالاً تامًّا لارلندا . فاقسم البروتستانت في ارلندا الشمالية انهم لن يخضعوا بحال من الاحوال لحكم دبلن وطلبوا ان يفصلوا من سائر ارلندا ويتركوا وشأنهم . ولكن الوطنيين الارلنديين هالهم ان يفقدوا اثنتي شطر من ارلندا . فاقترح المستر بلفور على الملك ان يتوسط ويعلن ان تجزيء الامبراطورية على هذا الوجه موضوع يجب ان يتاح للبلاد ان تعرب عن رأيها الصريح فيهِ . وهذا يعني ان بلفور اقترح على الملك ان يحتم على اسكوث فضّ البرلمان وخوض معترك انتخابات جديدة . اما لورد روزبري فكان رأيهُ ان رفض الملك توقيع قانون اقرّهُ البرلمان مخالف للتقاليد واستعمال لسلطة الملك في غير محله . وظلّ الجدال محتدماً خلال شتاء سنة ١٩١٣ و١٩١٤ والآراء متناقضة

الاّ ان الملك كان حكيماً ، فلم يصغ الى اصحاب الآراء المختلفة ، المخالفة للتقاليد الدستورية . وظلّ محتفظاً برباطة جأشهِ ، ولكنهُ لم يَنِ عن تذكير وزرائهِ بان الحالة في نظرهِ كانت اشدّ خطراً منها في نظرهم لانهُ باقٍ رئيساً للدولة حالة انهم خالعون جلباب الحكم عند ما يتحوّل الرأي العام عن تأييدهم ، فيحلّ غيرهم محلّهم . ومضى شهراً بعد شهر محاولاً اقناع المتطرفين من الفريقين بالتريث والتأني ، طالباً من كل فريق تخفيف الحدة في الخطب والتصريحات التي يفوهون بها ، وان ينظروا بعين الاهتمام للمصاعب التي تعترض موقف الفريق الذي يخالفهم . ودعا الى قصره في بلمورال الى زعماء الاحزاب المختلفة فلعب اللورد كرزن احد زعماء الاحرار الجولف مع المستر بونارلو زعيم المحافظين

الجديد . فبدا في موقف بونارلو شيء من الين في حلبة القصب لم يؤثر عنهُ . واصر الملك على اجتماع اسكوث رئيس الوزراء ببونارلو زعيم المعارضة وكان الاجتماع سريًّا خشية لوم المؤيدين لكل منهما فوجد كلٌّ منهما ساحةً اقرب الى التعقل مما كان يتصوَّر

وفي مارس سنة ١٩١٤ كادت المشكلة ان تتخذ شكلاً عسكريًّا ، وبدرت بوادر الحرب الاهلية في ارلندا ، فدعا الملك مؤتمراً من زعماء الاحزاب المتعارضة الى الاجتماع في قصر بكنهام وافتتح هو المؤتمر بخطبة مؤثرة ، ولكن النفوس كانت ثائرة فلم يسفر المؤتمر عن نتيجة ما ، ولم تنج ارلندا من نشوب الحرب الاهلية فيها سنة ١٩١٤ الاَّ بنشوب الحرب العامة على أثر حادثة سراييفو

***

في اول اغسطس سنة ١٩١٤ بعث ملك انكلترا بنداءٍ الى قيصر روسيا يطلب اليهِ فيهِ ان يوقف تعبئة الجيش الروسي . وكان اسكوث قد كتب هذا النداء مستعيناً برجال وزارة الخارجية . قال اسكوث : فلما انتهينا من كتابتهِ ذهبت في سيارة اجرة مع تَرل الى قصر بكنهام وكانت الساعة الحادية والنصف بعد منتصف الليل . فدعي الملك من سريره وصورة الملك في ثيابهِ في تلك الليلة التاريخية من أعجب الصور التي اذكرها

وقد اصرَّ الملك في خلال الحرب ، على ان غذاء الاسرة المالكة يجب الاَّ يختلف بوجهٍ من الوجوه عن غذاء الجمهور . فلما قضت حالة الحرب بان توزَّع بعض اصناف الغذاء ارزاقاً بمقتضى بطاقات اقلها كان قصر بكنهام ينال من هذه الارزاق ما يناله بقية الناس . وامر الملك بان لا يقدَّم على مائدتهِ خمر ولا جعة . وقد ذهب في خلال الحرب غير مرَّة الى فرنسا ، لزيارة ابنهِ وولي عهده ، وليكون وجوده هناك من بواعث النشاط والحماسة في نفوس الجنود . فلما انقضت الحرب ، اعرب المستر اسكوث عن اجلال للملك بهذه الكلمات :

« اما والعروش تهوي حولنا ، وقد كان بعضها قائماً على الظلم ، وبعضها مؤيداً بهيكل ضعيف من التقاليد ، فاننا نرى عرش هذه البلاد راسخاً لا يتزعزع قائماً على محبة الشعب البريطاني »

وقد كانت الصعاب التي واجهتها بريطانيا بعد الحرب لا تقل عن الصعاب التي واجهتها قبيل الحرب وفي خلالها . فالاضراب العام ، وفوز حزب العمال ، اقتضيا من الملك ان يبرهن مرة اخرى على مقدرته وحكمته ، لحكم منزه عن النزعة الخاصة او الحزبية . وقد اصاب في ذلك قسطاً وافراً من النجاح ، حتى انه لما مرض سنة ١٩٢٨ كانت الجماهير تقف امام قصره وهي متلهفة لاخباره ، ضارعة الى الله ان يمن عليهِ بالشفاء ، فنالت بولائها له ما عرف عن اولاء الملوك انكلترا الذين تقدسوه

وهذا كلهُ يفسر لك قول السر ستافورد كريس احد زعماء العمال المتطرفين اذ قال من عهدٍ قريب : « ان الملكية الدستورية سوف تبقى زمناً طويلاً في هذه البلاد لفضل وسيلة لاختيار رأس الدولة »

تتويج جورج الخامس

(سبق الانكليز غيرهم من امم هذا العصر الى الحكم الدستوري ونزع السلطة من ملوكهم ولكنهم مع ذلك لا يزالون متمسكين بكثير من عاداتهم ورقا ليدهم القديمة كتتويج ملوكهم والباس قضاتهم الشعور العارية وحراسهم الثياب المقصبة . وفيما يلي وصف جانب من حفلة تتويج الملك جورج الخامس في ٢٢ يونيه سنة ١٩١١ في دير وستمنستر)

... ووقف رئيس اساقفة كنتربري ونادى قائلاً ايها السادة قدمت اليكم الملك جورج ملك هذه المملكة الذي لا شبهة فيه والذي جئتم جميعكم اليوم لكي تقدموا له الطاعة فهل انتم راغبون في ذلك . فهتف الجمع هتافاً متكرراً قائلين احفظ اللهم الملك جورج . ثم ابتدأت الخدمة الدينية وتلي قانون الايمان ووعظت وعظة مختصرة وفي ختامها تقدم رئيس اساقفة كنتربري الى الملك وقال له هل انت مستعد يا مولاي ان تقسم اليمين فقال الملك نعم وأقسم انه يحافظ على الديانة البروتستانتية ويحكم شعبه بالعدل . وسار الى المذبح وركع امامه ووضع يمينه على التوراة وقال ان كل ما وعدت به هذا افعله وأحفظه فليعني الله . وقبل التوراة ووقع صورة القسم ورجع الى كرسيه بجانب كرسي الملكة وسجدا كلاهما ثم عاد الى المذبح وخلع حلة الملك وتقدم الى عرش الملك ادورد المعترف وجلس على حجر تاريخي مشهور فسحه دين وستمنستر بالزيت المقدس والبسه مهمازه ووضع سيفه على المذبح . وصلى رئيس الاساقفة ضارعاً الى الله ان لا يتقلد الملك سيفه عبثاً بل يستعمله لخدمة الله بارهاب الاشرار وحماية الاخيار ثم ناوله اياه قائلاً اجر بهذا السيف العدل وأوقف نمو الشر واحم كنيسة الله واعن الارامل والايتام وجدد ما عتق واحفظ ما تجدد وأصلح الاثيم وأيد الصالح حتى تنمو كل فضيلة . وناوله بعد ذلك رداء الملك والكرة والصليب قائلاً فليلبسك الله رداء البر وثوب الخلاص واذا رأيت هذه الكرة موضوعة تحت الصليب تتذكر ان العالم كله خاضع لقوة المسيح فادينا وسلطته . ثم البسه خاتم الملك في اصبعه وناوله الصولجان قائلاً تناول صولجان العدل والرحمة وليمنك الله في اجراء كل ما وهبك من السلطة وكن رحيماً ولكن لا تثنه في الحلم وعادلاً ولكن لا تنس الرحمة وعاقب الشرير واحم الصالح وقد شعبك في السبيل الذي يجب ان يسير فيه . ثم رفع التاج عن المذبح وتضرع الى الله ليبارك الملك ويتوجه بكل فضيلة ووضع التاج على رأسه قائلاً ليتوجك الله بتاج المجد والبر . والحال رفع الاعيان تيجانهم من تحت مقاعدهم ووضعوها على رؤوسهم وهتفوا للملك . وجلس الملك على عرشه وجعل رجال المملكة يمرون امامه ويسجدون له واحداً بعد الآخر وأولهم رئيس اساقفة كنتربري والاساقفة ثم ولي العهد وامراء بيت الملك وكان كل منهم يرفع تاجه عن رأسه ويركع امام الملك ويقول اني اخدمك بحياتي وأكون اميناً لك حتى الموت فليساعدني الله ثم يلمس تاج الملك بيده ويقبله في وجهه . وفعل مثلهم كل رؤساء فرق الاعيان اما اعضاء تلك الفرق فبقوا راكعين في مجالسهم حاسري الرؤوس